وحى الرســـالة

فصول فى الأدب والنقد والسياسة والاجتماع

[٤٨٠ ص من قطع الثمن . مطبعة الرسالة ، ١٩٤٠ . القاهرة الثمن ٢٥ قرشاً]

بقلم الدكتور إسماعيل أحمد أدهم

وهذا كتاب جديد تظفر به المكتبة العربية فى هذه الأيام . أخرجه للناس الأستاذ أحمد حسن الزيات صاحب مجلة الرسالة . والزيات — كما يعرفه قراء الأدب العربى — من أعلام النهضة الأدبية الحديثة ، ومن قادة البيان الصحيح . اشتغل زمناً بالتعليم ثم انقطع للصحافة الأدبية الخالصة ، فكانت له مجلة « الرسالة » وهى سجل الأدب وديوان العرب اليوم

وقد جمع الزيات بعض مقالاته الافتتاحية التى كتبها فى الرسالة على مدى ثمانية أعوام فى كتاب ، لأنها فى مجموعة أدل على الغرض والفكرة وأعم فائدة منها وهى متناثرة على صفحات الرسالة . ونظراً لأن هذه المقالات من وحى رسالته ، لهذا جاءت تسميتها « بوحى الرسالة »

وهى فصول متناثرة يتنازعها الأدب الصرف والفكرة الاجتماعية المصلحة والنظرة النقدية الصائبة . وهى كلها بعد ذلك تفيض من أصل أدبى وتاريخى من شخصية الكاتب متخذة لوناً خاصاً . والزيات أديب فنان ، يحسن إبراز الحياة التى فى الأشياء بالفكرة التى تنطوى عليها ، وبالعاطفة التى تحملها فى طياتها ، وبالخيال الذى تحتوى عليه . ومن هنا تجد التنوع فى جمال كتابة الزيات التى تتوازن فيها الفكرة مع العاطفة مع الخيال ، والتى تتناسب كلها مع صناعة فنية بارعة تفرغ كل هذه الأشياء فى صورة أدبية وقالب فنى محكم . والحق أن الزيات هو الأديب العربى الوحيد بين كتاب اللغة العربية اليوم الذى تميزت فى ذهنه مدلولات الألفاظ فعرف دقائقها وأدرك الأسرار العربية المحيطة بها ، ومن هنا تراه يلبس فكرته وإحساسه وخياله اللفظة الخاصة بها ، التى تعطى لونها من لغة الكلام

ويستهل هذا الكتاب بفصل مستفيض عن الجمال ، ترى الكاتب بأسلوب النشئ البليغ يعرض لماهية الجمال ، ولطبيعة الأصل الفنى فى نفس الكاتب مجده يبتعد عن مناقضات الفلاسفة وعلماء الجمال (المبديع) asthetique فالجمال عنده يقوم على القوة والوفرة والذكاء ، وينشئ فى الذهن فكرة سامية ، ويبعث فى النفس إحساساً وشعوراً صادقاً ، ويثير الخيال ويحرك التصور . وهو يتبسط فى شرح هذه المبادئ تبسط الأديب الفنان الذى لا يعنيه الأسباب قدر ما يعنيه الكنه والروح ، وينتهى من بحثه إلى نتائج مهما نازعته فى أمرها ، فلا يمكنك أن تنكر عليه بعد ذلك صفة العمق فى الفكرة والدقة فى التصوير والصدق فى التعبير . ثم هنالك فصل عن الرافعى يعتبر من خير الفصول الأدبية التى كشفت عن عبقرية هذا الأديب الذى لا نشك لحظة فى أنه سيخلد ما بقيت العربية وبقى إنسان يعرفها . وفى هذا الفصل يبين الزيات خصائص أدب الرافعى فى قصد واعتدال ، فالفكرة مبسوطة بقدر ، والتعبير نازل تماماً على قدر المعنى

والحقيقة أن الزيات قد خلف فى مدرسة البيان العربى المرحوم الرافعى ، وهما على ما بينهما من اختلاف فى الطبع وتباين فى المزاج وتفاوت فى الثقافة إلا أن قوة الفن وحركة الذهن تجمعهما . وإن كان ذهن الزيات يختلف عن ذهن صاحبه من جهة الصفاء وعدم انقطاع الصلة بينه وبين عقل الناس . فمعانيه مفهومة وهى ذات أصل دقيق من الفكر . وفكر الزيات ملتقى العقلين العربى والغربى ، العربى فى جلالته وروعته ، والغربى فى عظمته وترتيبه وانتظامه ودقته

* * *

وجملة القول أن هذا الكتاب من خير الكتب التى تمسك على الناشئة أسلوبهم وتميل بتعبيرهم إلى البيان الصحيح ، ومن هنا كان جديراً بالتقدير ، إذ يقف أمام عوامل العجمة والتضعضع الطاغية على أقلام الناشئين من كتاب اليوم

« أدهم »